ترجمات | قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية | 01 غشت 2023

# اللَّوْحُ الْمَمْسُوحُ
# TABULA RASA

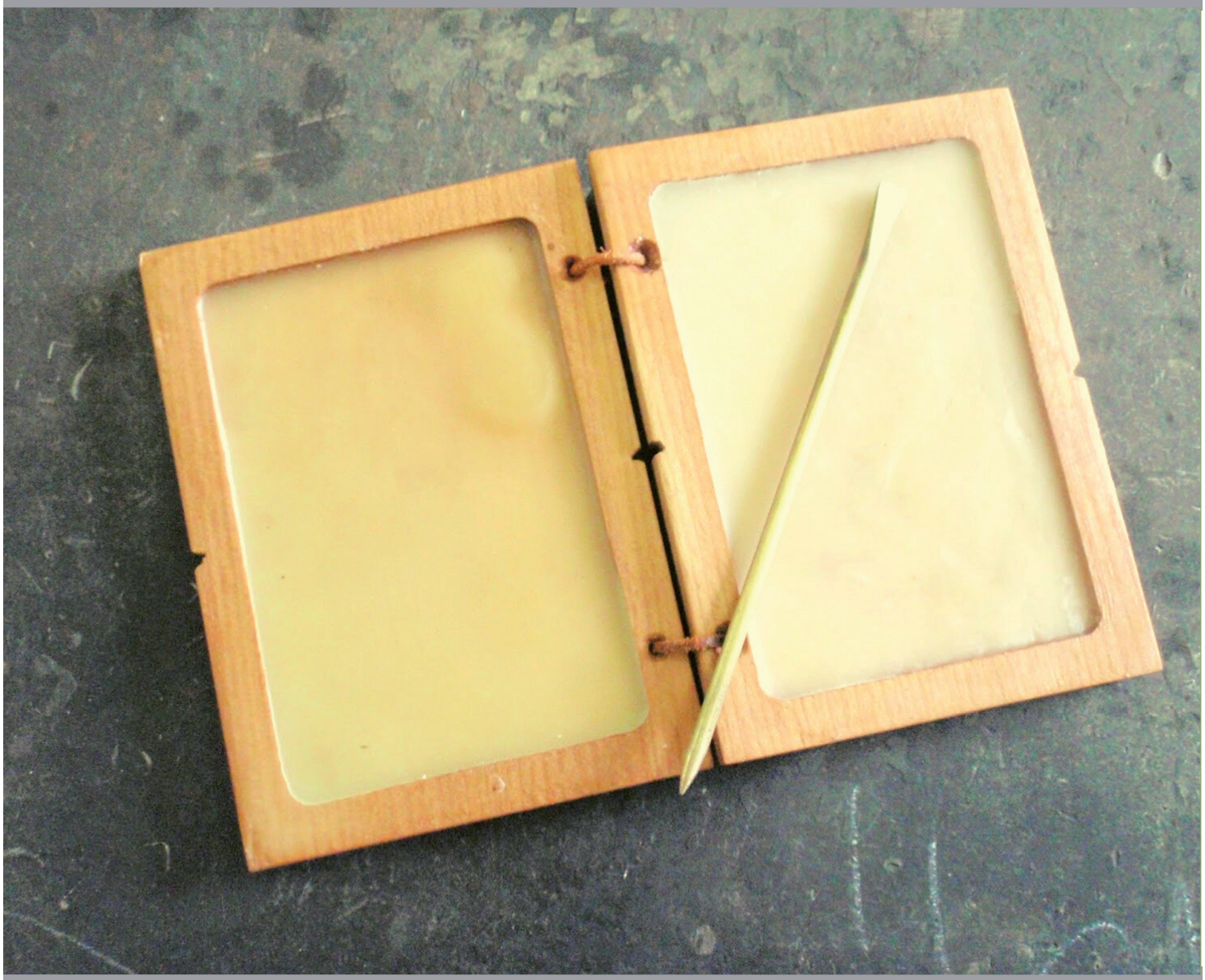

كيجيتن كودي
ترجمة: أحمد فريحي

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

جميع الحقوق محفوظة © 2023
All rights reserved © 2023

# اللَّوْحُ الْمَمْسُوحُ TABULA RASA[1]

**تأليف: كيجيتن كودي[2]**
**تقديم وترجمة: الدكتور أحمد فريحي[3]**

1 - **مصدر النص:**
***New Catholic Encyclopedia Supplement* 2012-2013: *Ethics and Philosophy*, Volume 4, p. 1502**

2 - **كيجيتن كودي Cajetan Cuddy** رجل دين، وواعظ، وأب لكنيسة المقاطعة الدومنيكانية للقديس يوسف بأمريكا، حاصل على الدكتوراه في الإلهيات المقدسة، يعمل رئيسا لتحرير سلسلة «المذهب التوماوي»، وقد شارك في تأليف كتاب «توماس الإكويني والتوماويون: إنجاز توماس الإكويني ومؤولوه». له العديد من المنشورات تتعلق بفلسفة وإلهيات القديس توماس الإكويني، وتتعلق كذلك بالمذهب التوماوي.

3 - حاصل على الدكتوراه في الفلسفة من كلية العلوم الإنسانية بالقنيطرة، وأستاذ الفلسفة بالثانوي التأهيلي.

## تقديم:

اللوح الممسوح كناية عن العقل الفارغ من كل معرفة سابقة، فاللوح كناية عن العقل، والممسوح كناية على الفراغ وعدم وجود شيء. إذا كنا نربط نشأة هذا التعبير بالفيلسوف البريطاني **جون لوك** انطلاقا من التعبير المشابه له، الذي هو «الورقة البيضاء»، الذي هو كناية كذلك على خلو العقل من كل معرفة فطرية وسابقة، والذي واجه به **ديكارت** الذي يقول بجوهرية الفكر، وبوجود أفكار فطرية مبثوثة في العقل من قبيل الامتداد ووجود الله، فإن هذا الربط لا يدل على نشأة تعبير اللوح الممسوح؛ لأن له أصولا ترجع إلى الفلاسفة اليونان، وساهم الفلاسفة المسلمون في نشأته من خلال شروحهم لكتب أرسطو، وبالخصوص كتاب «النفس»، كما تم التعبير عنه بصيغ مختلفة عند **ديكارت**، و**فرنسيس بيكون**، و**توماس هوبز**، و**ديفيد هيوم**، هذا بالإضافة إلى **جون لوك** الذي نسب له.

إن الأسئلة التي يجيب عنها هذا النص المترجم كالآتي: ما المقصود باللوح الممسوح؟ ما مجال حضوره؟ لم ارتبط **بجون لوك**؟ وهل هذا الأخير استعمله بالحرف في كتابه المشهور «مقال في الفهم البشري»؟ هل أشار إليه في كتب أخرى؟ ما أصل اللوح الممسوح؟ إذا ارتبطت نشأته بكتاب «النفس» **لأرسطو**، فكيف وجد له مكانة في اللغة اللاتينية؟ أ لم يساهم الفلاسفة العرب في بلورته من خلال الشروح التي قدموها لكتب **أرسطو**؟ كيف تلقف الفكر الديني في الغرب هذا التعبير؟ وما هي المكانة التي احتلها في المذهب التوماوي (نسبة إلى القديس **توماس الإكويني**)؟ كيف يمكن تحليل اللوح الممسوح من خلال نظرية المعرفة انطلاقا من تصور الحسيين التجريبيين وتصور العقلانيين المثاليين؟ كل هذه الأسئلة نجد لها أجوبة في هذا المقال الموجز، وإليكم نصه.

## المقال المترجم:

إن اللوح الممسوح تعبير لاتيني يفيد «اللوح الفارغ»؛ بمعنى لوح مخصص للكتابة دون أن يكتب شيء على ظهره. لقد ارتبط هذا التعبير بنظرية المعرفة التي تدعي أن العقل البشري لا يمتلك معرفة فطرية سابقة عن الإدراك الحسي.

ارتبط هذا التعبير في العادة بالفيلسوف البريطاني **جون لوك** (1632-1704)، كما ارتبط بالنقاشات الدائرة بين التجريبيين والعقلانيين. ومهما يكن، فإن تعبير اللوح الممسوح لم يرد بالحرف في كتاب **جون لوك** «مقال حول الفهم البشري» الذي صدر سنة 1690، حيث تحدث عن المعرفة البشرية المنبثقة من الإحساس والتأمل، لكنه يصف العقل بأنه «ورقة بيضاء» بدلا من اللوح الفارغ. لقد تم ربط تعبير اللوح الممسوح اللاتيني **بجون لوك** لما أقحمه المترجم **بيير كوست** في ترجمته الفرنسية لكتاب **لوك** «مقال حول الفهم البشري» الذي صدر سنة 1700.

انتقد **جون لوك** غير ما مرة بعض آراء الفلاسفة ورجال الدين المنتمين للمذهب الكاثوليكي بهجاء وبسخرية. ومع ذلك، فإن المختصين يعترفون بأن **جون لوك** استعمل في الأصل تعبير اللوح الممسوح في المسودات المبكرة لكتاب «مقال حول الفهم البشري»، واعترف بخلفيته الدينية وبدلالاته (**هيل Hill** 2010، ص، 212). بالإضافة إلى ذلك، احتفظ **جون لوك** بهذا التعبير اللاتيني في الكتاب الذي نشر بعد وفاته «مقالات حول قانون الطبيعة» (صدر سنة 1664، وترجم إلى الإنجليزية سنة 1954).

ليس بالأمر المفاجئ للطالب أن ينسب تعبير اللوح الممسوح إلى النزعة المدرسية في الفكر الغربي. إنه يظهر كشكل من أشكال التعبير في الترجمة اللاتينية لكتاب «النفس» **لأرسطو** (384-322 ق.م)، والذي كتب باليونانية من حيث الأصل (الترجمة الإنجليزية لكتاب «في النفس» 430 ا2- 429- ب 29). ومهما يكن، يبدو أن أستاذا مغمورا للفنون في جامعة باريس (عاش حوالي 1225) كان أول من وصف العقل البشري بأنه لوح ممسوح في دراسته الشهيرة التي تلخص كتاب **أرسطو** «في النفس»، كما تم تفسيره من قبل **ابن سينا** (980-1037) و**ابن رشد** (1126-1198) (انظر باسنو R. Pasnau 2002، ص. 32).

لقد استمر هذا التعبير المأثور المستوحى من **أرسطو** في التأثير في الفلسفة والدين اللاحقين في القرون الوسطى. ورد تعبير اللوح الممسوح في كتاب الأسقف الألماني القديس **ألبرت العظيم** (1206-1280 في عمله الذي صدر سنة 1193). لقد استعمل القديس **توماس الإكويني** (1224/1225-1275) أيضا التعبير في مؤلفه المشهور «الخلاصة اللاهوتية» (يمكن مراجعة المقالة الأولى، الفصل 79، والمقالة الثانية، الفصل 101...) وبالإضافة إلى ذلك، حافظ التقليد التوماوي في الشروح على أهمية هذا المبدأ الفلسفي على

مر القرون بعد **توماس الإكويني**، واستعمله أغلب الفلاسفة ورجال الدين التوماويين في أطروحاتهم ابتداء من **يوحنا كابريولوس** (1380-1440) عبر **إدوارد هوغون** (1867-1929). يعتبر التوماويون المعنى الأرسطي للوح الممسوح جزء أساسيا وقاعدة لنظرية توماس الإكويني في المعرفة.

يشير تعبير اللوح الممسوح في جوهره إلى نظرية في المعرفة أفضل ما يمكن وصفها بالواقعية المعرفية. تؤكد الواقعية على وجود ومعرفة الواقع الخارجي كليهما. ومن المأثورات المعرفية للفلاسفة الواقعيين أنه: «**لا يوجد شيء في العقل لم يكن موجودا في الحواس**». تعكس هذه العبارات عبارة **توماس الإكويني**: «**إن عمل العقل أصله في الحواس**» (القديس توماس الإكويني، المقالة الألى، الفصل 78، والمقالة الرابعة). توفر المعرفة الحسية الأساس للمعرفة البشرية كلها. هناك مرحلتان متسعتان لمعرفة الحس البشري. تحصل المرحلة الأولى في نشاط أعضاء الحس نفسها، إن هذه الحواس الخارجية (مثل العين، والأذن، والأنف، والفم، والجلد) هي قوى سلبية تنتج إحساسا (أي البصر، والسمع، والشم، والذوق، واللمس)؛ وذلك لما يتم إثارتها بواسطة شيء أو أشياء مادية خالصة. وتحصل المرحلة الثانية من المعرفة الحسية في نشاط الحواس الداخلية (أي الحس المشترك، والخيال، والحس المعرفي، والذاكرة) التي تتلامس فقط مع الواقع بواسطة الحواس الخارجية. يدمج الحس الداخلي الأول (أي الحس المشترك) مختلف الأحاسيس الناشئة عن الحواس الخارجية – بالاقتران مع الخيال والذاكرة - وينتج صورة إحساس مجتمعة تسمى الإدراك. تمكن الحواس الداخلية الذات المعلومة من إدراك الأشياء المادية على أنها موضوعات مادية باعتبارها كليات معقولة، كما تمكن من تذكر صور الأشياء الخارجية (أي الصور الذهنية) حتى في حال غيابها. وبعبارة أخرى، فالإحساس يفسح المجال للإدراك أولا، ويفسح المجال للعقل أخيرا. وبما أن العقل البشري لا يمتلك معرفة فطرية قبل الإحساس، فإنه يمكن وصفه على وجه الدقة بأنه لوح ممسوح.

خلافا للواقعية، فإن المثالية الفلسفية لا تثق في مصداقية الحواس لتمثيل الواقع على نحو مناسب. يناقش الفلاسفة المثاليون مثل **جورج بركلي** (1685-1753)، و**إيمانويل كانط** (1724-1804)، و**جورج فيلهايم هيجل** (1770-1831) طبيعة الواقع المعتمدة على العقل بشكل أساسي؛ ففي الوقت الذي يعتقد الواقعي أن الأشياء الطبيعية تسبق الأفكار البشرية، يعتقد المثالي أن العقل يشيد الأشياء من خلال فعل المعرفة. يتم التركيز على الأفكار الموجودة في العقل؛ لأن العقل نفسه هو الغرض الأساس للتفكير الفلسفي. يبدأ المثالي البحث الفلسفي بقوة المعرفة نفسها، والأفكار أو المفاهيم أو المبادئ الفطرية موجودة فيه. إن المعرفة البشرية لا تبدأ بالإدراك الحسي. لذلك، فإن المثالية تنفي أن العقل لوح ممسوح.

# BIBLIOGRAPHY

**Ashley, Benedict M., *The Way toward Wisdom: An Interdisciplinary and Intercultural Introduction to Metaphysics*. South Bend., IN: University of Notre Dame Press, 2006**

**Hill, James. "Scholasticism." In *The Continuum Companion to Locke*, edited by S.-J. Savonius-Wroth, Paul Schuurman, and Jonathan Walmsley, 211–213. London: Continuum, 2010**

**Régis, Louis-Marie., *Epistemology*, Translated by Imelda Choquette Byrne, New York: Macmillan, 1959**

**"The Soul and Its Powers", In *The Cambridge Translations of Medieval Philosophical Texts*, Vol. 3, Mind and Knowledge, edited by Robert Pasnau, 9–34. Cambridge, UK: Cambridge University Press, 2002**

**Wallace, William A., *The Elements of Philosophy: A Compendium for Philosophers and Theologians*. New York: Alba, 1977**

MominounWithoutBorders

Mominoun

@ Mominoun_sm

مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

info@mominoun.com
www.mominoun.com

All rights reserved © 2023

جميع الحقوق محفوظة © 2023